مجلة وادى النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية

كفالة الدولة العثمانية لطلاب مسلمي الجاوي في أراضيها

(١٨٩٥- ١٩١٣م)

في ضوء وثائق الأرشيف العثماني

د. أسمهان مصطفى توفيق خليل

أستاذ مساعد التاريخ الحديث والمعاصر – كلية الاداب بجامعة بني سويف

الملخص:

يبحث هذا المقال في كفالة الدولة العثمانية لطلاب مسلمي جاوة في أراضيها، وذلك خلال الفترة الممتدة ما بين: ١٨٩٥–١٩١٣م؛ وهو ما يُلقي الضوء على جانب من جوانب العلاقات العثمانية الجاوية، والتي تم إهمال دراستها في التاريخ الغربي عن قصد، لذا هدفت هذه الدراسة إلى سد هذه الفجوة من خلال استقراء العلاقة بين الكيانين خلال فترة الدراسة، والتي كانت حافلة بالأحداث التي شكلت حلقةً من حلقات الصراع بين الدولة العثمانية وبلاد الجاوي من جهة، والدول الغربية من جهة ثانية، وذلك استنادًا على وثائق الأرشيف العثماني التابع لرئاسة الجمهورية التركية بإسطنبول، وتحليلها باستخدام منهج البحث التاريخي، ويساهم هذا المقال في التعرف على مسلمي الجاوي، والمتاعب التي كانوا يتكبدونها من أجل الحفاظ على إسلامهم، ونيل استقلالهم، وتعليم أبنائهم وتُشير نتائج هذه الدراسة النوعية إلى: أن الدولة العثمانية رغم الضعف الذي كانت عليه، ومشاكلها المتعددة، التي أعاقت القيام بواجبها، والمأمول منها كخلافة للمسلمين تجاه الهجمات الاستعمارية على بلاد الجاوي، إلا أنها بذلت جهود ملموسة لمساعدة طلاب مسلمي الجاوي.

الكلمات المفتاحية: طلاب مسلمي الجاوي، الدولة العثمانية، الباب العالي، المدارس السلطانية.

(ISSN: 2536 - 9555)

The Ottoman State's Care of Javanese Muslim Students in Its Territories (1895-1913 AD) in Light of the Ottoman Archive Documents

Dr. Asmahan Mostafa Tawfik Khalil
Assistant Professor of Modern and Contemporary History, Faculty of Arts, Beni Suef University

Abstract:

This article examines the sublime Porte of Javanese Muslims in Ottoman lands during 1849-1915 AD with the Ottoman Empire, during 1849-1916 AD,which focusing on a side of the Ottoman Javanese relationship that was neglected in Western history So, the study is extrapolating this relationship in an episode of conflict between them on the one side, and the Western countries on the other side, depending on the documents of the Ottoman archives in Istanbul, and analyzing them using the historical research approach, and it contributes to recognizing the Javanese Muslims, and the troubles they tolerated to preserve their Islam and gain their independence, and educating their children. The results of this qualitative study indicate that: despite the weakness it was, and its many problems, which hindered it from carrying out its duty, which was hoped for as a caliphate for the Muslims, in confront of the colonial attacks on the lands of Java, it made great efforts to help the students of Javanese Muslims, and this study recommends increasing International studies and conferences on the history of Javanese Muslims throughout the ages, based on Ottoman and local sources, to confront the fallacies issued by Western sources, especially British, about our Islamic history, which naturally reflect the direction of foreign policies.

Keywords: Javanese Muslim students, the Ottoman Empire, the Sublime Porte, the Sultanate Schools.

مقدمة

غيّر الإسلام ملامح الحياة السياسية والحضارية في بلاد الملايو، وعند قيام الدول الإسلامية في أرض الأرخبيل ازدهرت جميع مجالات الحياة، وصار القرآن الكريم، والسنة النبوية، والفكر الإسلامي العام هو النظام الذي يسود البلاد، وتكاثرت أعداد الطلاب الراغبين في تعلم الدين الإسلامي، وعلوم اللغة العربية، والشريعة الإسلامية، بل هناك علماء مِن أبناء الأرخبيل ذهبوا إلى بلاد العرب، وتعلموا العربية، ثم عادوا إلى أوطانهم، ومعهم الكثير من الكتب الدينية المعروفة، فعكفوا على ترجمتها، والتعليق عليها، والإضافة على بعض أجزائها، وصارت الدول الإسلامية يؤازر بعضها البعض سياسيًّا، واقتصاديًّا، واجتماعيًّا، وثقافيًّا، وفكريًّا، واستمرَّ وضعها على هذا النهج حتى جاء المستعمر الغربي الصليبي الحاقد على الإسلام والمسلمين؛ فبدأ الوضع يتبدل إلى الأسوأ نتيجةً للسياسات الاستعمارية العدائية.

وجاءت هذه المقالة للتعرُّف على كفالة الدولة العثمانية لطلاب مسلمي الجاوي في أراضيها، وذلك خلال الفترة الممتدة ما بين: ١٨٩٥-١٩١٣م؛ وهي فترة توطدت فيها العلاقات الجاوية العثمانية، بعد فترة من انقطاع العلاقات بينهما، دامت قرابة قرن ونصف من الزمان، وهو ما يُلقي الضوء على جانب من جوانب العلاقات العثمانية الجاوية، والتي تم إهمال دراستها في التاريخ الغربي عن قصد، لذا هدفت هذه الدراسة إلى سد هذه الفجوة من خلال استقراء اهتمام الدولة العثمانية بطلاب مسلمي الجاوي في الأراضي العثمانية خلال فترة الدراسة، التي كانت حافلة بالأحداث التي شكلت حلقة من حلقات الصراع بين الدولة العثمانية وبلاد الجاوي من جهة، والدول الغربية من جهة ثانية، والتي تعددت ذرائعها لبسط نفوذها على مناطق جنوب شرق آسيا، والقضاء على مسلميها، وإضعافهم وتجهيلهم.

(ISSN: 2536 - 9555)

يهدف هذا البحث إلى تقديم استنتاجات علمية تعتمد على حقائق تاريخية حول الغايات– آنفة الذكر– تم استخلاصها من المصادر التاريخية المعاصرة لفترة الدراسة الزمنية، والمودعة في الأرشيف العثماني التابع لرئاسة الجمهورية التركية بإسطنبول، **وذلك وَفق المحاور الآتية:**

أولاً– توطئة تاريخية عن علاقة مسلمي الجاوي بالدولة العثمانية

ثانيًا– مساعدات الباب العالي لطلاب مسلمي الجاوي في الأراضي العثمانية

وفرضت طبيعة الموضوع، اعتماد البحث على المنهج التاريخي الوصفي، من خلال جمع المادة العلمية الواردة بوثائق الأرشيف المذكور حول بلاد الجاوي خلال فترة البحث، ثم تصنيف هذه المادة حسب محاور البحث، مع مراعاة الترتيب التاريخي قدر المستطاع، والعرض الموضوعي لرسم الخطوط الكبرى للموضوع، والخروج ببعض النتائج، وخُتمت الدراسة بطرح أهم التوصيات التي خلصت إليها في هذه اللمحة الوجيزة.

أولًا- توطئة تاريخية عن علاقة مسلمي الجاوي بالدولة العثمانية

تتبع جزيرة جاوة ما يُعرف: بـ"عالم الملايو"؛ وهو: ذلك الأرخبيل المكون من آلاف الجزر المنتشرة في جنوب شرقي آسيا، والتي كان يُطلق عليها فيما مضى: جزر الهند الشرقية، وتنقسم حاليًا إلى وحدات سياسية كبيرة؛ أهمّها: إندونيسيا، وماليزيا، والفلبين، ومِن أعظم هذه الجزر: جاوة، وسومطرة، وبورنيو، وتقع هذه كلها في إندونيسيا، ويُضاف إليها جزر كبيرة وصغيرة؛ حيث تبلغ في مجموعها: أربعة آلاف جزيرة (٤٠٠٠)، ومساحتها الإجمالية حوالي سبعمائة وخمسة وثلاثون ألف ميل مربعًا (٧٣٥٠٠٠)، ومنها: شبه جزيرة الملايو، الممتدة جنوب سيام، والتي يحيط بها بعض الجزر، ويمتاز بعضها بموانئ عالمية هامة؛ كميناء: بنانج، وسنغافورة، ويفصل الملايو عن سومطرة بوغاز: مضيق، يُسمى: بوغاز ملقا، وتُكوِّن الملايو مع ما حولها مِن جزر صغيرة، وجزء مِن ساحل جزيرة بورنيو

الغربي: دولة ماليزيا حاليًّا، ومِن الجزر الكبيرة في الأرخبيل أيضًا: جزائر: "لوزون، وفيزياس، ومندناو، وأرخبيل صولو" في الفلبين[١].

وجدير بالذكر: ما ذهب سنوك هورخرونيه إليه من أن مصطلح: "جاوة"، أو "بلاد الجاوي" قد شاع بين العرب للاستدلال به عن: منطقة جنوب شرق آسيا، أو كل الشعوب التي تنتمي إلى السلالة الملاوية في أوسع صورها؛ شاملةً البلاد الممتدة من سيام (تايلاند) إلى ملقَا، وغينيا الجديدة[٢].

وقد اتفق كثير من المؤرخين على أن بداية دخول الإسلام في جنوب شرق آسيا كان في عهد النبي محمد ﷺ، القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)، وأن العرب الحضارم هم أول من وطأت أقدامهم هذه المنطقة؛ وبدأ الانتشار في البداية على نطاق محدود؛ حيث اقتصر على المناطق الساحلية، ثم تدرج حتى عمّ أغلب مناطق الأرخبيل[٣].

وبالنظر إلى تاريخ مسلمي الجاوي تتضح كم التحديات التي واجهتهم؛ سواء على المستوى الداخلي، والتي تجلّت في التنكيل بهم، واضطهادهم من قبل السلطات الحاكمة الهندوكية، وهذا ما تطلب منهم الجهاد؛ للحفاظ على إسلامهم، وللتحرر من البدع، والخرافات الشركية التي رسَّخها فيهم ساستهم الأوائل: الهنادكة، والبوذيون، وإخلاص العبادة لله وحده، وترك عبادة ما عداه من الآلهة،

---

(١) محمد عبد الرؤوف عبد الحميد، الإسلام في عالم الملايو، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، السنة (١)، العدد (١) عام ١٩٦٥، ص٨٤.

(٢) سنوك هورخرونيه، صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ترجمة: علي عودة الشيوخ، ج٢، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١٩٩٨، ص ص٥٤١-٥٤٢.

(٣) أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب، ملامح الارتباط التجاري والثقافي والاجتماعي بين العرب الحضارم وبلاد أرخبيل الملايو خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، مجلة الدراسات الاجتماعية، جامعة العلوم والتكنولوجيا، العدد ٤٢، أكتوبر – ديسمبر ٢٠١٤م، اليمن، ص٢٥.

(ISSN: 2536 - 9555)

أو على المستوى الخارجي لمواجهة هذا التغلغل الصليبي الاستعماري الذي تطلّع إلى السيطرة على بلادهم، والقضاء على الإسلام والمسلمين فيها.

وذهبت بعض المصادر إلى ظهور بعض الاتصالات القوية بين سلاطين الجاوي المسلمين، وسلاطين الدولة العثمانية، وذهب الرحالة البرتغالي بينتو (Binto) إلى أن تلك العلاقات بدأت في عهد السلطان علي مغايت شاه، بعد أن انتشرت أخبار انتصارات السلطان العثماني سليم الأول (٩١٨-٩٢٧هـ- ١٥١٢-١٥٢٠م)، والذي مد نفوذه من أوروبا إلى الشرق الأوسط، ودخول الحجاز تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية؛ هنا أرسل السلطان علي مغايت وفدًا إلى السلطان سليم الأول للتهنئة والاعتراف بزعامته كخليفة للمسلمين[٤]، وذكرت إحدى الوثائق العثمانية أنه تم فتح جزيرة سومطرة في زمن السلطان سليم الأول، مع وصول النصر العثماني إلى الجزيرة العربية، وأنه أثناء توجيه الانتصارات إلى جزيرة سومطرة؛ عرض أهالي آتشيه تبعيتهم على الدولة العثمانية، وتعيين مبعوثين منهم باستانبول، ووضعوا الراية العثمانية على جميع السفن والموانئ، إلى غير ذلك من مظاهر التبعية التي أبدوها لسنان باشا ناظر البحرية العثمانية، مقابل حمايته، وأن السلطان سليم الأول قد استجاب لطلب الأهالي؛ وأهدَى الوزير سنان باشا بموجب الفرمان السلطاني بعض المدافع والسيوف لسلطان آتشيه، اعترافًا بقبول تبعيتهم للدولة العثمانية[٥].

وتطورت العلاقات بين العثمانيين والآتشيين في عهد السلطانين: سليمان القانوني العثماني (٩٢٧-٩٧٤هـ/ ١٥٢٠-١٥٦٦م)، وعلاء الدين رعاية شاه

---

[٤] غيثان علي جريس، الوجود الإسلامي في أرخبيل الملايو: إندونيسيا وماليزيا نموذجًا ق١-ق١٠هـ/ ق٧- ق١٦م، دراسة تاريخية حضارية، الرياض، مطابع الحميضي، ٢٠١٤، ص ص: ٣٧١- ٣٧٢.

[٥] الأرشيف العثماني، تصنيف: I.HR 260–15586، بتاريخ: ٩ رجب ١٢٩٠هـ/ ١ سبتمبر ١٨٧٣م.

الآتشي، الملقب بـ (القهار) (٩٤٤-٩٧٦هـ/ ١٥٣٧-١٥٦٨م)؛ إذ ذهب البعض إلى أن الدور الشجاع الذي امتاز به السلطان الآتشي ضد البرتغاليين كان بسبب الدعم الذي كان يتلقاه من قبل العثمانيين، وأن هناك العديد من الجنود العثمانيين الذين انخرطوا في الخدمة في دولة السلطان القهار، وأن الدولة العثمانية لم تتخل عن مساعدة الأرخبيل في أقصى الشرق، وكان السلطان العثماني يستقبل دائمًا وفود آتشيه، ويقدم لحكوماتهم كل أنواع الدعم، ويرسل لهم العديد من الآلات والمعدات العسكرية، ويرسل كذلك الجنود، والخبراء العسكريين؛ حتى ينضموا إلى الجيوش الآتشية في مواجهة البرتغاليين، وتجاوزت مساعدات السلطان سليمان القانوني إلى إرسال بعض الوفود إلى بلاد الملايو؛ كي تقوم بالمصالحة بين أمراء وحكام المسلمين المتخاصمين هناك، وحثهم على الاتحاد لمواجهة البرتغاليين، هذا وتجدّدت العلاقات بوضوح بين دولة آتشيه في عهد سلطانها إسكندر مودا الأول (١٠١٦-١٠٤٦هـ/ ١٦٠٧-١٦٣٦م)، وبين الدولة العثمانية، التي أرسلت لحكومة آتشيه الأسلحة، والعسكريين؛ كي ينضموا إلى الجيوش الآتشية في محاربتهم للبرتغاليين، وكان السلطان إسكندر مودا يرسل لسلطات الباب العالي الهدايا والمنتجات التي اشتهرت بها بلاد الأرخبيل؛ كالفلفل، والتوابل، وغيره[٦].

وذهب المؤرخ البريطاني: أندرو تشارلز بيكوك (Andrew Peacock) إلى تعدّد ذكر الوجود العثماني في الأدب الملايوي في القرن السابع عشر، وأن العديد من حكام الملايو أشاعوا أنهم ينتسبون إلى السلطان العثماني، وأن هيبة المدفعية العثمانية لعبت دورًا كبيرًا في إعجاب عالم الملايو بكل ما هو عثماني، وأن هذا التأثير الثقافي استمر؛ كونه أحد السبل التي مكنت العثمانيين من بسط نفوذهم على المنطقة، وكذلك الصلات التجارية التي تطورت خلال تلك الفترة؛ إذ تكشف السجلات الهولندية من أوائل القرن السابع عشر عن استمرار استيراد كميات كبيرة من التوابل والكماليات من هذه المنطقة عبر البحر الأحمر إلى البلاد العثمانية، في الوقت الذي قام فيه العثمانيون بتصدير الخيول والأدوات العسكرية إلى جاوة،

[٦] غيثان علي جريس، المرجع السابق، ص ص: ٣٧٢-٣٧٧.

(ISSN: 2536 - 9555)

بالقدر الذي يعكس قوة المصالح التجارية واتساعها بين الجانبين، هذا فضلًا عن الروابط الدينية؛ حيث قام عدد من العلماء الوافدين من الأراضي العثمانية بدور كبير في نشر الإسلام في المنطقة؛ ومنهم: داود الرومي في آتشيه، والذي كان في الغالب من نسل أحد العثمانيين، وقد لعب دورًا مهمًّا في انتشار الصوفية هناك، وأكد هذه الصلات الدينية بصورة أكثر وضوحًا؛ اعتبارًا من القرن السابع عشر وما تلاه تزايد أعداد علماء جنوب شرق آسيا الذين درسوا في الحجاز التابع للدولة العثمانية، وانتقلوا إلى إستانبول، ومن هؤلاء العلماء خلال القرن السابع عشر يوسف المكاسري، وعبد الرؤوف الفنصوري، مفتي سلطنة آتشيه، هذا وشكل علماء فطاني وبانتن في شبه جزيرة الملايو ثقل وسط الجمع الجاوي في الحجاز[٧].

هذا وإن غربت شمس الدولة العثمانية باستهلال القرن الثامن عشر من سماء بلاد الجاوي، فقد استمر تأثيرها الروحي على قلوب مسلميها؛ من منطلق كونها دولة الخلافة الإسلامية، وهذا ما يتضح فيما ذهب إليه بيكوك البريطاني من أنه رغم انحسار الدور العثماني المؤثر في المحيط الهندي في القرن الثامن عشر بدرجة كبيرة، إلا أنه ظلت الدولة العثمانية تظهر على الصعيد السياسي كزعيمة للأمة، من خلال نشاط مسلمي المنطقة نفسها[٨].

وأصبحت طلبات مسلمي الجاوي المتكررة بحماية الدولة العثمانية من أهم مظاهر العلاقات الجاوية العثمانية خلال القرن التاسع عشر، في مواجهة الزحف الاستعماري المستمر على جنوب شرق آسيا، وذلك في الوقت الذي كانت تعاني فيه الدولة العثمانية من ضعف لسلطتها السياسي على الصعيد الخارجي؛ لخسارتها أراضيها، وخاصة في أوروبا، فضلًا عن مشاكلها الداخلية العديدة، وهذا

(7) A. C. S. PEACOCK, The Ottoman Empire and the Indian Ocean, Oxford Research Encyclopedias: Asian History, p.9-10, retrieved on 25 April 2023, https://doi.org/10.1093/acrefore/9780190277727.013.31, 2018, p. 11.

(8) Ibid, p. 11.

ما جعلها تتعامل بحذر شديد مع الطلبات الجاوية؛ خوفًا من استثارة غضب الدول الأوروبية.

وذهبت إحدى الوثائق العثمانية إلى أن السفارة التي أرسلها سلطان آتشيه منصور شاه إلى إستانبول في عام ١٨٤٩م بزعامة محمد غوث، تمثل بداية إعادة العلاقات الجاوية العثمانية، حيث نقلت السفارة رغبة الحاكم الجاوي في الحصول على التبعية والحماية العثمانية، والإذن باستهلال خطبة الجمعة باسم السلطان العثماني، وإرسال موظف بفرمان عثماني، وسفينة وراية عثمانية إلى آتشيه[٩]، وكان الهدف من ذلك مواجهة الزحف الهولندي في سومطرة، والاستقواء بالخلافة العثمانية؛ استنادًا إلى العلاقات السابقة بين آتشيه، والدولة العثمانية خلال القرن السادس عشر، واعتراف آتشيه السابق بالسيادة العثمانية، ورغم عدم نيل السفارة السالفة الذكر بمرادها، أعقبتها العديد من السفارات من سلطنات متعددة في بلاد الجاوي؛ معلنة إذعانها وولاءها للسلطان العثماني[١٠]، ولم يزد الرد العثماني عن صرف العطايا السلطانية لأفرادها عن مصاريف مدة إقامتهم في إستانبول، وتأمين البواخر لإعادتهم إلى بلادهم[١١].

وتجددت سفارات آتشيه إلى الأراضي العثمانية قبيل اشتعال الحرب بين الآتشية الهولندية عام ١٨٧٣م[١٢]؛ حيث أرسل حاكمها علاء الدين محمود شاه وكيله السيد عبد الرحمن الزاهر إلى أمير مكة عام ١٨٧٢م؛ لطلب وساطته لدى

---

[٩] الأرشيف العثماني، تصنيف: A.MKT.UM.25-72، بتاريخ: ٩ شوال ١٢٦٦هـ/ ١٧ أغسطس ١٨٥٠م.

[١٠] نفس المصدر، تصنيف: i.DH.407-26941، بتاريخ: ٨ ذي القعدة ١٢٧٤هـ/ ١٩ يونيو ١٨٥٨م.

[١١] نفس المصدر، تصنيف: A.MKT.NZD.47-66، بتاريخ: ٢٩ صفر ١٢٦٨هـ/ ٢٣ ديسمبر ١٨٥١م؛ تصنيف: A.MKT.MHM134-32، بتاريخ: ٢٤ ذي القعدة ١٢٧٤هـ/ ٥ يوليو ١٨٥٨م.

[١٢] نفس المصدر، تصنيف: A.MKT.MHM 457-55/21، بتاريخ: ٢٧ شوال ١٢٨٩هـ/ ٢٧ ديسمبر ١٨٧٢م.

(ISSN: 2536 - 9555)

السلطات العثمانية لضم بلاده بالسلطنات العثمانية، وإعلان قبول تبعية بلاده للدولة العثمانية[١٣]، هذا واستمرت سفارات آتشيه إلى أراضي الدولة العثمانية طلبًا للدعم العثماني طوال الحرب الهولندية على آتشيه، خلال الفترة ١٨٧٣–١٩٠٤م، إلى أن استطاعت هولندا احتلال آتشيه، بلا مساعدة حيوية من الدولة العثمانية، وهذا إن دل على شيء؛ فإنما يدل على الضعف الذي كانت عليه الدولة العثمانية خلال تلك الفترة، واهتزاز مركزها السياسي.

ثانياً- مساعدات الباب العالي لطلاب مسلمي الجاوي

وإن كانت الوثائق تعكس سلبية الدولة العثمانية في التصدي لتعديات المستعمرين، وظلمهم لمسلمي الجاوي، ودَرْء الخطر عنهم؛ فإنها تعكس أيضًا اهتمامًا واضحًا من الباب العالي بتقديم المساعدات المتعددة لمسلمي الجاوي؛ بما يتوافق وسياسة السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦–١٩٠٩م) الذي أقدم على عدة خطوات، هدفت إلى جمع المسلمين تحت راية الدولة العثمانية، وتعزيز نشاطهم تحت مظلة الوحدة الإسلامية في مواجهة الدول الغربية، التي كانت تتحيّن الفرص للسيطرة على ممتلكات الدولة العثمانية، فتركّز التوجه العثماني إلى إبراز الخلافة، وقيادتها للأمة الإسلامية قاطبةً، ولذا نجد الباب العالي يتجه إلى تعيين القناصل في: باتافيا، وسنغافورة، وبومباي، وكولومبو؛ لإعادة ربط مسلمي هذه المناطق بدولة الخلافة، وتشجيع المساجد على الاعتراف بالتبعية العثمانية، والدعاء للسلطان العثماني في خطبة الجمعة.

وجدير بالذكر إفادة مدير الشؤون الحقوقية المختلطة بنظارة الخارجية ببعض المعلومات المحلية التي حصل عليها أثناء وظيفته لثلاث سنوات في قنصلية مدينة باتافيا؛ حيث ذهب إلى أنه يوجد مسلمون بالملايين في هذه النواحي، وأنهم مرتبطون بالخلافة العثمانية، وأنه لدى وصوله إلى باتافيا لأول مرة شاهد مؤمنين بالآلاف يؤدون صلاة الجمعة، وتم قراءة الخطبة بها باسم السلطان، وأن أفواجًا

---

[١٣] نفس المصدر، تصنيف: A.MKT.MHM 457-55/17، بتاريخ: ٢٧ شوال ١٢٨٩هـ/ ٢٧ ديسمبر ١٨٧٢م.

كثيرة من المسلمين قد راجعوا القنصلية المذكورة، ملتمسين قبول دخولهم تحت تبعية وحماية الدولة العثمانية، وقد أيقن أنه من الضروري تحقيق فكرة الجامعة الإسلامية لتوثيق علاقة المسلمين في آسيا الوسطى، والشرق الأقصى بالخلافة الإسلامية[١٤].

ومِن أوجه اهتمام الباب العالي بمسلمي الجاوي: كان قَبول أبنائهم بالمدارس العثمانية، وتقديم المساعدات لهم، ووُجِدت الكثير مِن الوثائق التي تُؤكّد هذا التوجه، ومنها مثلًا ما يعكس استجابة الباب العالي لطلبات انتساب أبنائهم بهذه المدارس؛ مثل: مكاتبة ناظر المعارف إلى الصدارة العظمى بخصوص عرض الرسالة الواردة من مختار باشا المفوّض فوق العادة بمصر، عن الطلب المقدم بشأن طلب قيد أبناء سيد عبد الله عطاس أفندي، من سادات حضرموت المقيم في جاوة، والأيتام الموجودِينَ تحت وصايته، والذين لم تسعفه قدرته المالية على مصاريف تعليمهم ، وحالت دون ذلك العوائق السياسية، وكذلك قيد الستة أطفال الجاويين الذين سيصحبهم معه إلى إستانبول في مدرسة العشيرة، ودار الشفقة – مكان مخصص لتعليم، وتربية الأطفال الأيتام–، وذلك بسبب عدم اهتمام الهولنديين بأمر تعليم الأطفال المسلمين في جزيرة جاوة، وقد صدر أمر السلطان بقيدهم في مدارس أخرى؛ لأنه ليس من المناسب قيدهم في مدرسة العشيرة، ومِن الأطفال المذكورين: عثمان عبد الله أفندي، وعمره: ثمانية عشر عامًا، ومحمد عبدالله أفندي، وعمره: ستة عشر عامًا، وأربعة أطفال في عمر العاشرة، أو الحادية عشر، وهم: محسن علي، وعبد روس، وهاشم عبد الله، وعمر علوي، ونظرًا لعدم إمكانية قيدهم بالمدارس السلطانية، أو المدارس المدنية بسبب عمرهم، وانتهاء موعد القَبول بالمدارس المذكورة، وعدم وجود أماكن شاغرة بها؛ لذلك مِن المناسب قيد عثمان عبدالله، ومحمد عبدالله بإحدى المدارس العسكرية الليلية، وقيد الأربعة الباقين في دار الشفقة، فالمطلوب إصدار الأمر من الصدارة العظمى إلى

---

[١٤] نفس المصدر، تصنيف: Y.PRK.HR 14 – 15، بتاريخ: ٢ جمادى الآخرة ١٣٠٨هـ/ ١٢ يناير ١٨٩١م.

(ISSN: 2536 - 9555)

نظارة عموم المدارس العسكرية، وإدارة دار الشفقة لاتخاذ اللازم، وورد الرد مِن الصدارة العظمى إلى نظارة المعارف، وإدارة دار الشفقة بقيد أربعة أطفال بالمدرسة المدنية والسلطانية، والاثنين الأخيرين بدار الشفقة؛ بناءً على أمر السلطان، وطالبت نظارة المعارف بالتنبيه على المسؤولين برعاية الأطفال المذكورين رعايةً حسنةً[١٥].

كذلك إفادة الصدارة العظمى إلى نظارة الخارجية بخصوص الإخطار من نظارة المعارف؛ أنه تم قيد ثلاثة صبيان من أطفال باتافيا المسلمين الأربعة الذين سافروا إلى إستانبول بالمدرسة السلطانية، وصبي واحد بالمدرسة الملكية مجانًا، كما أشارت إلى إفادة قنصلية باتافيا عن مكاتبات بعض أعيان مسلمي سنغافورة وجاوة وأمراء جزر سومطرة وملقا وريو؛ للمطالبة أن ينال أولادهم وأحفادهم حظًّا من ذلك، وأنه ينبغي الاستعلام من القنصلية المذكورة عن عدد الصبية الذين طلب أعيان سنغافورة وجاوة من المسلمين إرسالهم إلى المدارس المذكورة، وبالفعل ردّت القنصلية المذكورة: بأن عدد الأطفال من أعيان سنغافورة وجاوة المسلمين المطلوب إرسالهم إلى إستانبول للقَبول في المدارس السلطانية هو: ثلاثون طفلًا، مع طلب التعجيل بسفر بعضهم، كذلك طلبت قنصلية باتافيا قيد وقَبول عددٍ مِن الأطفال بالمدرسة السلطانية لتعلم اللغة التركية، واللغات الأجنبية؛ ومنهم: محمد حسان أفندي؛ حفيد أمير باندونج في جاوة: عبد المطلب أفندي ابن الشخص المدعو السيد: عليّ بن شهاب مِن أعيان باتافيا، عبد الرحمن ابن الشخص المدعو السيد: عبد القادر مِن تجار باتافيا، وشقيق أمير تاربة في حضر موت[١٦].

وحوى ملفٌ رقم: (١٣١٦) على مكاتبة من الصدارة العظمى إلى رئيس كتاب السلطان بخصوص عرض اِلْتماس كلٍّ مِن الشيخ: باجند رئيس جماعة العرب في

---

[١٥] نفس المصدر، تصنيف: A.MTZ.(05) 5.B–161-1:7، بتاريخ ٨ ذي الحجة سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٥.

[١٦] نفس المصدر، تصنيف: BEO 1166 - 87419، بتاريخ ٦ ربيع الأول سنة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨/٧/٢٤م، انظر ملحق رقم (١).

مدينة بوقور في جاوة، وأبي بكر سنكر بقيد وقَبول أبنائهم السبعة في المدارس السلطانية لتحصيل العلوم والفنون، ومذكرة نظارة الخارجية عن إجراء مقتضي ذلك، وكذلك الرسالتان الواردتان مِن قنصل باتافيا عن إرسال اِلْتماس المذكورين، وطلب قيدهم، وقَبولهم بالمدارس المذكورة لدَى وصولهم إلى إستانبول؛ حيث تمَّ إركابهم الباخرة من جاوة، وطلب صدور أمر السلطان بشأن ذلك، وإخطار مِن رئيس كتاب السلطان إلى الصدارة العظمى بخصوص بصدور أمر السلطان بإجراء مقتضى مذكرة الصدارة العظمى[١٧].

ولم يقتصر الأمر على قَبول الباب العالي اِلْتماسات مسلمي الجاوي بإلحاق أبنائهم بالمدارس العثمانية، وإنما واصل الباب العالي الاهتمام بأوضاع الطلاب الاجتماعية؛ وهذا ما يتضح مِن طلب ناظر المدارس العسكرية السلطانية، ومشير دار المدفعية مِن نظارة المعارف العمومية؛ من صرف مبلغ ألفي قرش كبدل سفر لأحمد مصري أفندي الجاوي، أحد طلبة مدرسة العشيرة، بغرض إعادته إلى بلاده لشدة مرض والده الذى أصبح طاعنًا في السن؛ حيث إن المذكور لا يتوفر معه المال اللازم لذلك، وأفاد بأنه يمكنه العودة إلى بلاده بمساعدة سفارة هولندا، ونظرًا لأنه لن يوافق المصلحة إعادته بواسطة سفارة أجنبيّة؛ لأنه أحد الذين تم إحضارهم إلى المدرسة المذكورة بأمر مِن السلطان، لذلك يجب سرعة تسوية المبلغ المذكور[١٨].

ورفعت الصدارة العظمى إلى نظارة المعارف الرسالة الواردة من طرف محمد كامل بك، قنصل قورنو الحالي، وقنصل باتافيا السابق إلى نظارة الخارجية، والتي يقترح فيها نقل أطفال أهالي جاوة المسلمين الذين تم جلبهم إلى إستانبول؛

---

[١٧] نفس المصدر، تصنيف: 1899 1261–94534 BEO، بتاريخ ٢٧ شعبان سنة ١٣١٦هـ- ١٨٩٩/١/٩م.

[١٨] نفس المصدر، تصنيف: 5–604 MF.MKT، بتاريخ ٦ رمضان سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠١/١٢/١٦م ، انظر ملحق رقم (٢).

(ISSN: 2536 - 9555)

لتحصيل العلم إلى المدرسة السلطانية، وتخصيص راتب ثمانين قرشًا لكلٍّ منهم[١٩].

كما وجهت الصدارة العظمى إلى نظارة المالية إشعارَ نظارةِ المعارف؛ بصرف تكاليف إعادة عليّ بن عبد الرحمن بن سهل أفندي أحد أهالي جاوة– الذي تمَّ قَبوله بالمدرسة السلطانية قبل سبع سنوات– إلى بلاده؛ لأنه لن يستطيع أن يكمل دراسته بسبب فقره، وذلك بناءً على طلبه، وأن المطلوب صرفه مبلغ: ثلاثة آلاف قرش للمذكور[٢٠].

وذهبت وثيقة إلى أنه عندما تناولَت إحدى الصحف العثمانية الحديث عن معاناة بعض أطفال جاوة الذين يتلقون العلوم في المدارس المختلفة في إستانبول بسبب اختلاف طقس إستانبول عن طقس بلادهم، ومرض البعض منهم؛ حيث صدر أمر السلطان بإرسال الأطفال المذكورين إلى أماكن موافقة أكثر لطقس بلادهم، وبحث الباب العالي عن الأماكن الأفضل لإرسالهم إليها، وقد تمّ ترشيح بغداد ومكة المكرمة على وجه الخصوص حتى يكونوا بعيدًا عن أنظار سفارة هولندا، وبالفعل تمَّ التأكد من سفر أحد عشر طالبًا من المذكورين إلى الأماكن المرشحة[٢١].

كذلك أظهر الباب العالي اهتمامًا بتأمين إعادة طلاب مسلمي الجاوي إلى بلادهم، ومِن ذلك: طلب مشير دار المدفعية العامرة، وناظر المدارس العسكرية السلطانية مِن نظارة الخارجية إصدار تأشيرة من طرف سفارة هولندا لجوازات سفر سبعة طلبة جاويين من طلبة مدرسة العشيرة السلطانية، من أجل السفر إلى بلادهم للاستجمام؛ بناءً على صدور أمر السلطان بذلك، وطلب اتخاذ اللازم؛

---

[١٩] نفس المصدر، تصنيف: BEO 2174-162984، بتاريخ ٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٢١هـ / ١٩ سبتمبر ١٩٠٣م.

[٢٠] نفس المصدر، تصنيف: BEO 2700 – 202432، بتاريخ ٧ رمضان سنة ١٣٢٣هـ– ١٩٠٥/١١/٤م.

[٢١] نفس المصدر، تصنيف: MF.MKT 604– 5، بتاريخ مايو ١٨٩٩.

حيث أفاد مدير المدرسة المذكورة بأن المذكورين سيستقلون الباخرة التي تُسمّى: "أره نوق" التابعة لشركة: "مساجري" التي ستتحرك يوم الخميس القادم(٢٢).

وقد منح الباب العالي بعض الاستثناءات لطلاب مسلمي الجاوي دون غيرهم من الطلاب، وهذا ما يتضح مِن إفادة مدير المدرسة السلطانية إلى نظارة المعارف العمومية بالْتِماس عمر العطاس أفندي، الطالب الجاوي الذي تمَّ قيده وقَبوله بالمدرسة السلطانية بأمر السلطان قبل عشر سنوات، وأنه في الصف السادس والأخير في اللغة التركية، والصف الخامس في اللغة الفرنسية، وقد اكتفَى بتحصيله في الصف الخامس باللغة الفرنسية، ويطلب قَبوله لاختبار اللغة التركية هذا العام، والحصول على الشهادة إذا اجتاز الاختبار؛ حيث إنه يأمل الالتحاق بمدرسة الحقوق، ودراسة أنظمة وقوانين الدولة العثمانية، وعودته إلى بلاده لخدمة مصالح الخلافة الإسلامية، وردَّت نظارة المعارف العمومية على مدير المدرسة السلطانية بقَبول اِلْتِماس الطالب المذكور بصفة استثنائية، على الرغم من عدم إكماله الصف الأخير في اللغة الفرنسية، وألا يُطبق هذا الاستثناء على غيره(٢٣).

ولعبَت السفارة العثمانية في باتافيا دورًا في التصدي لتجاوزات هولندا ضدّ طلاب مسلمي الجاوي، وتقديم المساعدة لهم؛ وهذا ما يتضح من مكاتبة إبراهيم راسم قنصل باتافيا إلى نظارة الخارجية بخصوص الرد على التقرير الوارد من سفارة دولة هولندا في إسطنبول إلى نظارة الخارجية عن تسليم جوزات سفر مِن طرف القنصلية في السادس عشر مِن شهر كانون الأول/ ديسمبر سنة ١٩٠٥م لأربعة طلبة مِن رعايَا دولة هولندا، وسائر الإفادات الغريبة في هذا الشأن، وإفادة القنصل المذكور بعدم تسليم جوازات سفر لرعايَا هولندا، وأن الطلبة الأربعة موضوع الشكوى هم مِن أهالي جاوة، ويقيمون في جاوة، وليسوا أبدًا مِن رعايا دولة

(٢٢) نفس المصدر، تصنيف: HR.TH 298–91، بتاريخ ٤ ذي الحجة سنة ١٣٢١هـ/ ١٩٠٤/٢/٢٠م، انظر ملحق رقم (٣).

(٢٣) نفس المصدر، تصنيف: MF.MKT .935– 52، بتاريخ ٢ ربيع الأول سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦/٤/٢٥م، انظر ملحق رقم (٤).

(ISSN: 2536 - 9555)

هولندا؛ **فالأول:** هو السيد: عبد المطلب أفندي بن عليّ بن شهاب من طلبة المدرسة السلطانية، وهو وأجداده مِن مواليد حضرموت، **والثاني:** هو السيد: عليّ بن عبد الرحمن بن سهل من طلبة المدرسة المذكورة، ومِن أقارب السيد: عبد المطلب المشار إليه، وهو أيضًا، وأبوه وأجداده مِن مواليد حضرموت، **والثالث:** وهو محمد أفندي بن عبد الرحمن بن حسّان من طلبة المدرسة المذكورة، وعلى الرَّغم مِن أنه وُلد في مدينة باندونغ في جزيرة جاوة، إلا أن أباه مِن مواليد حضرموت، ولم تَرد أي معلومات قط حتى الآن من أن أباه تخلَّى عن التبعية العثمانية، ودخل في تبعية دولة هولندا، وبناءً على ذلك؛ فإن تبعيته مثل تبعية أبيه للدولة العثمانية، والرابع: هو السيد: عبد الرحمن أفندي بن عبد القادر العيدروس من طلبة المدرسة المذكورة، وعلى الرَّغم من أنه وُلِد في باتافيا، إلا أن أباه عثماني، وبهذه الصورة؛ فإن هذه الشكوى، وهذا الادّعاء ليس صحيحًا[٢٤].

كذلك وردت رسالة مِن قنصلية باتافيا إلى نظارة الخارجية بخصوص التنديد بتعنت الهولنديين مع مسلمي الجاوي، وغلقهم للمدارس، والإفادة عن افتتاح مدرسة في مدينة تشيانجور في جاوة، وتعيين معلم عربي لتعليم اللغة العربية للصبية المسلمين، وأنه تمّ إغلاق المدرسة بعد عدة أيام من قبل السلطات الهولندية، وقام المتصرف المحلّي بإبلاغ الأهالي؛ بأنه لن يسمح باستمرار فتح المدرسة ما لم يتمّ تعيين معلم محلّي فيها؛ حيث إن قانون نظام المعارف لا يسمح بتعيين المعلمين الأجانب في المداس المخصصة للمواطنين، وأن القنصل المذكور حرص على أخذ موافقة شفوية من الكاتب العمومي بدائرة الولاية بصورة مباشرة، وأنه لا يوجد هناك مانع مِن إرسال الأطفال المواطنين إلى إستانبول، أو القاهرة لتحصيل العلوم واللغة العربية، ثمّ عودتهم إلى بلادهم كمعلمين بعد تحصيل العلم[٢٥].

---

[٢٤] نفس المصدر، تصنيف: HR.TH 330–92، بتاريخ ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٢٣هـ /١٩٠٦/٢/١٨.

[٢٥] نفس المصدر، تصنيف: HR.ID 1373-55، بتاريخ ١٤ رمضان سنة ١٣٣١هـ/ ١٦ أغسطس ١٩١٣م.

هكذا يُستدل مِن الوثائق: أن الدولة العثمانية حاولت دَعم نفوذها المعنوي، وربط الأقوام المسلمة المختلفة بها تحت مظلة الخلافة الإسلامية؛ لتعويض قدرٍ مِن مركزها المتهاوي على الصعيد السياسي الدولي، وتجلَّى ذلك في اهتمامها بشؤون المسلمين عامةً، والجاوي منهم خاصةً؛ كاهتمامها بتعليم طلاب مسلمي الجاوي في المدارس العثمانية، والاهتمام بالحجاج الجاويين[٢٦]، وسرعة التجاوب مع أي شكوى تخصُّ مصالح حجاج الجاوي مِن قبل السفارات الأجنبية، وسرعة تداركها، والعمل على إزالة أسبابها[٢٧]، فضلًا عن تقديمها بعض المساعدات لمسلمي الجاوي؛ مثل: الإعانة المالية لمدير جريدة الاتحاد التي أسّسها أهالي جاوة المسلمين، ورفقائه في مصر؛ لتأمين المنافع الدينية بسبب عدم توفر الإمكانيات المالية لديهم[٢٨]، وتقديمها الإعانة اللازمة لمسلمي جاوة؛ بسبب فقرهم، واحتياجهم إثر أحد السيول الواقعة في جاوة، والخسائر الناجمة عنه[٢٩]، فضلًا عن اهتمامها بأكثر مِن مناسبة بإرسال المصاحف، وتوزيعها على مسلمي الجاوي[٣٠].

ومِن نافلة القول: إن الدولة العثمانية قد تعرضت لعدة ضربات، أودت بالنهاية إلى سقوطها، وضياع الخلافة، والتي تعد مِن أعظم مكتسبات المسلمين قاطبة، وقد خطى السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م) عدة خطوات، هدفت إلى التفاف المسلمين تحت راية الدولة العثمانية، وتوحيد نشاطهم تحت مظلة الجامعة الإسلامية في مواجهة الدول الغربية، التي كانت تتحيّن الفرص

---

[٢٦] نفس المصدر، تصنيف: A.MKT. MVL 20-17، بتاريخ ١٨٤٩.

[٢٧] نفس المصدر، تصنيف: HR ID. 98-48، بتاريخ ١٩١٣.

[٢٨] نفس المصدر، تصنيف: A.MTZ. (05) 30-123، بتاريخ ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٣٢هـ/ ٢٠ فبراير ١٩١٤م.

[٢٩] نفس المصدر، تصنيف: BEO 4402–330150، بتاريخ ١٩١٦.

[٣٠] نفس المصدر، تصنيف: i.HR 290–18200، بتاريخ ١٠ رجب سنة ١٣٠٠هـ/ ١٦/٥/١٨٨٣م؛ تصنيف: I .HR 321–20729، بتاريخ ١٠ رمضان سنة ١٣٠٨هـ/ ٢٩/ ٤/ ١٨٩٠م.

(ISSN: 2536 - 9555)

للانقضاض على ممتلكات الدولة العثمانية، ولكن القدر لم يمهل السلطان عبد الحميد لتنفيذ ما كان يرنو إليه؛ حيث تكتل عليه الاتحاديون، وأشعلوا ثورة ضده، وخلعوه من السلطة في ٢٤ نيسان ١٩٠٩م، وقد ساهم خلع السلطان عبد الحميد الثاني، وسيطرة الاتحاديين على الحكم، وسياساتهم الجائرة، بإضعاف الدولة، وعدم تمكنها من نجدة مسلمي الجاوي من تعديات المستعمرين وظلمهم، وقيامها بالدور المأمول منها كخلافة للمسلمين، والزج بالدولة في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤–١٩١٨م)، والتي لم يَقم للدولة العثمانية بعدها قائمة.

الخاتمة

مما تقدَّم بيانه يُمكن أن تُعتبر نتائج بحث: "كفالة الدولة العثمانية لطلاب مسلمي الجاوي في أراضيها" ما نستخلصه في الآتي:

أن الدولة العثمانية– وإن أظهرَت سلبيةً في التصدّي لتعديات المستعمرين، وظلمهم لمسلمي الجاوي، ودرْء الخطر عنهم–؛ فقد ظهر اهتمام واضح مِن الباب العالي، بتقديم المساعدات المتعددة لمسلمي الجاوي، ومِن ذلك: رعاية أبنائهم بالمدارس العثمانية، ووُجِدت الكثير من الوثائق التي تُؤكد هذا التوجه، ومنها مثلًا: ما يعكس استجابة الباب العالي لطلبات انتساب أبنائهم بهذه المدارس، والاهتمام بأوضاع الطلاب الاجتماعية، وتأمين إعادتهم إلى بلادهم، وكذلك منح الباب العالي بعض الاستثناءات لطلاب مسلمي الجاوي دون غيرهم من الطلاب، وهذا إن دلَّ على شيء؛ فإنما يدلُّ على أن الدولة العثمانية حاولت دَعم نفوذها المعنوي، وربط الأقوام المسلمة المختلفة بها تحت مظلة الخلافة الإسلامية؛ لتعويض قَدر مِن مركزها المتهاوي على الصعيد السياسي الدولي.

الملاحق

ملحق رقم (١)

مراسلات الباب العالي بشأن قبول بعض أطفال مسلمي باتافيا في المدارس السلطانية

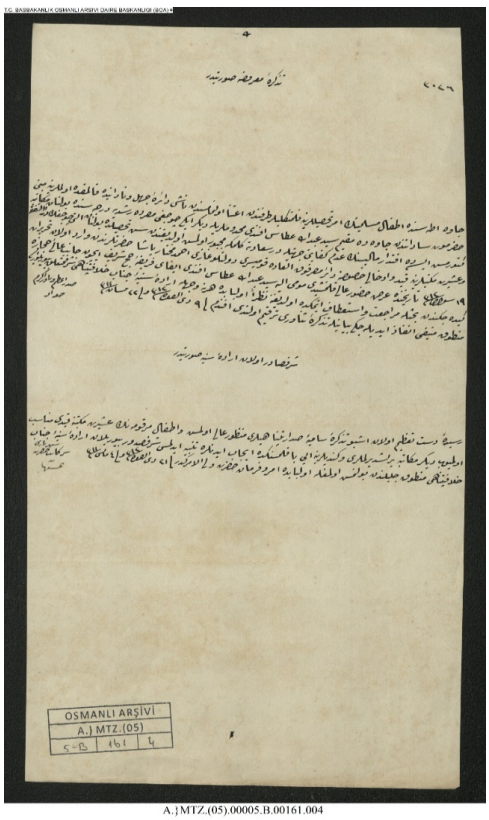

A.}MTZ.(05).00005.B.00161.004

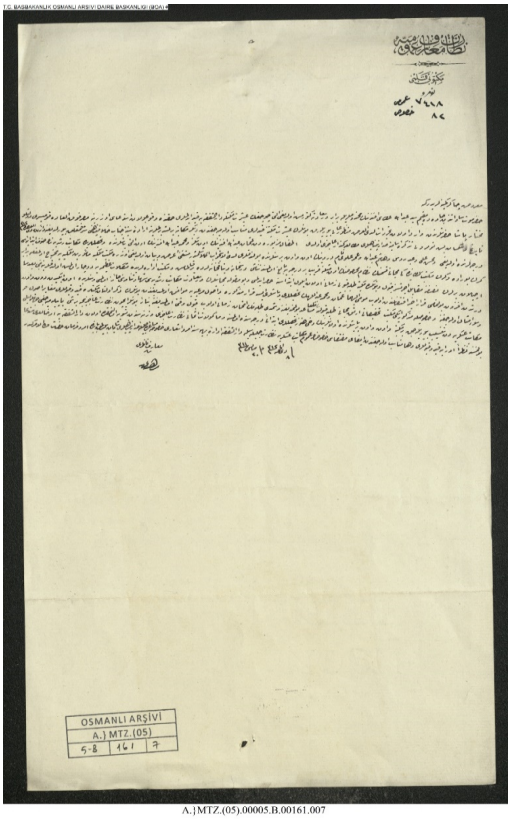

A.}MTZ.(05).00005.B.00161.007

المصدر: الأرشيف العثماني، تصنيف BEO 1166 - 87419، 1898.

(ISSN: 2536 - 9555)

ملحق رقم (٢)

مراسلات الباب العالي بشأن صرف مبلغ كبدل سفر لأحد طلبة مسلمي الجاوي في المدارس السلطانية

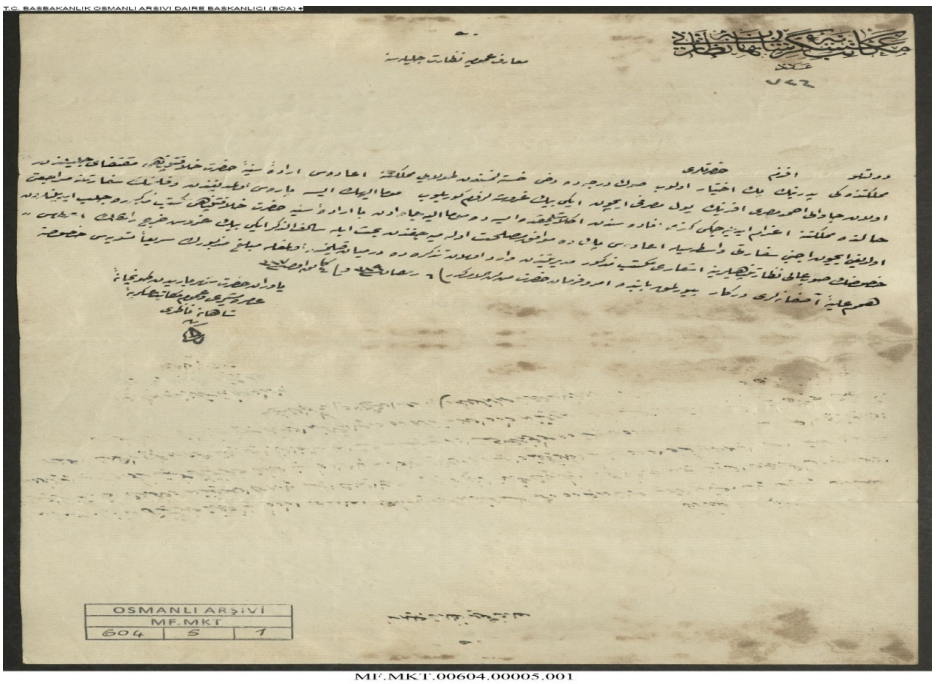

المصدر: الأرشيف العثماني، تصنيف MF.MKT 604–5، 1901.

ملحق رقم (٣)

وثيقة بشأن إصدار تأشيرة على جوزات سفر طلاب جاويين

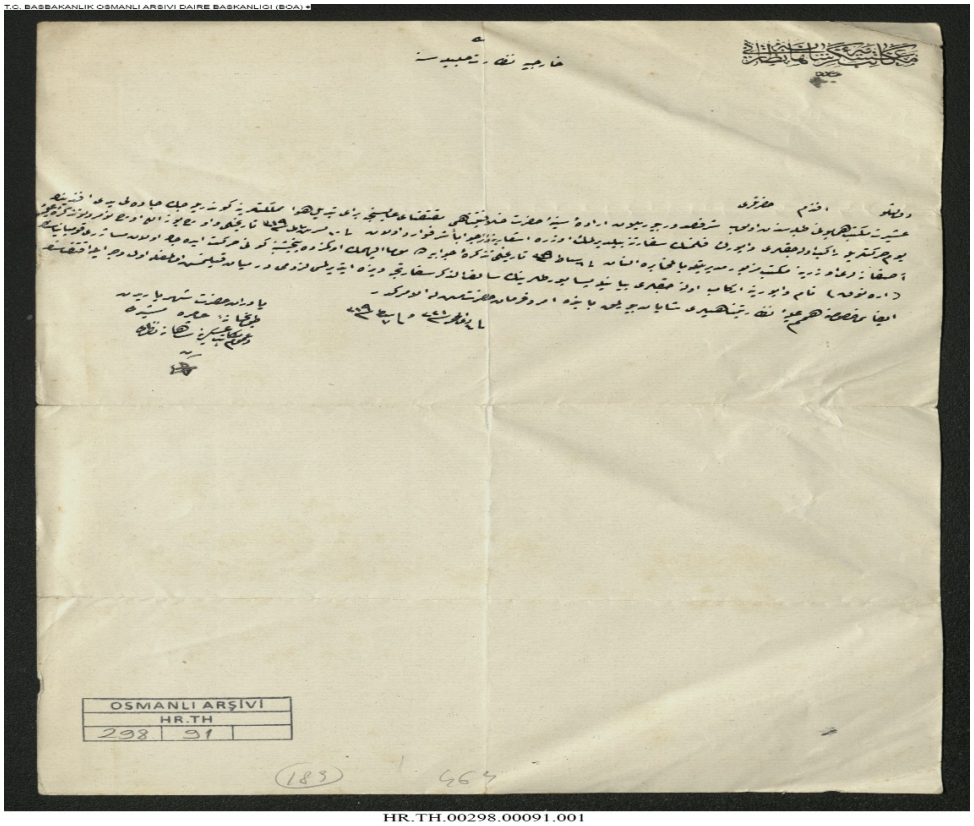

HR.TH.00298.00091.001

المصدر: الأرشيف العثماني، تصنيف HR.TH 298–91، 1904.

(ISSN: 2536 - 9555)

ملحق رقم (٤)

وثيقة تعكس استثناء للطالب عمر العطاس الجاوي بالمدرسة السلطانية

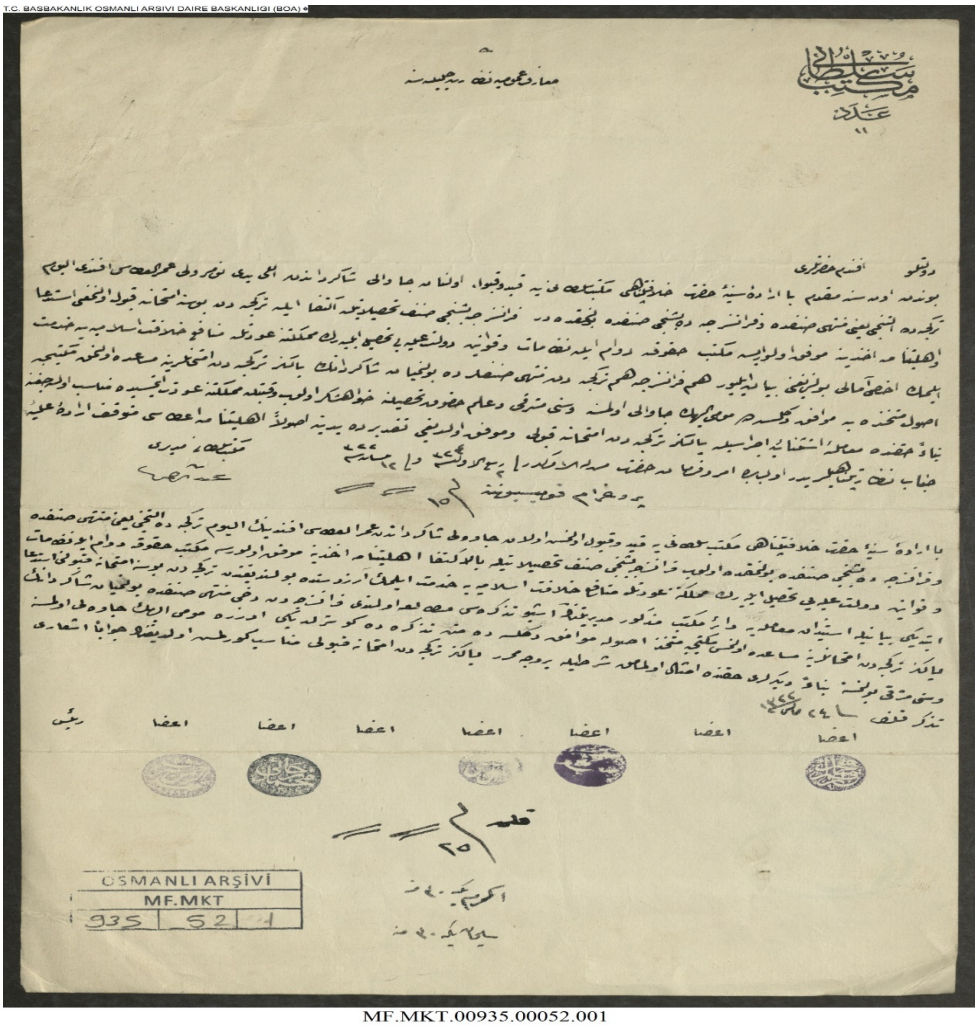

MF.MKT.00935.00052.001

المصدر: الأرشيف العثماني، تصنيف52 – 935. MF.MKT، 1906.